الخطاب الاسلامي المؤثر

-مدخل إلى معالمه ومواصفاته-

شكيـــب بــن مخلــوف

رئيس "اتحــاد المنظمــات الإســلامية في أوروبــا"

مقـــدّم إلـــى مؤتمـــر

"التعريف بالاسلام في البلدان غير الاسلامية ــ الواقع والمأمول"

ــ رابطـــة العـــالم الاســـلامي ــ

(١٤٢٩ هــ / ٢٠٠٨ م)

المحتـــــويات

توطئـــــــة

أ ــ كيف يكون الخطابُ الإسلاميُّ مؤثراً؟

أولاً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث المضامين

ثانياً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث مصدره أو من يصدر عنهم

ثالثاً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث المتلقي

رابعاً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث السياقات والملابسات

خامساً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث ملاحظة أنماط الاستجابة وردود الأفعال

سادساً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث الأدوات

ب ــ الخطاب الإسلامي في التجربة الأوروبية:

أولاً/ مسلمو أوروبا ــ تبلوُر التجربة ونموّ الخطاب

ثانياً/ دراسة حالات منتقاة:

دراسة حالة (١): الخطاب الإسلامي في أوروبا من واقع "ميثاق المسلمين في أوروبا"

دراسة حالة (٢): الخطاب المسجدي في أوروبا

دراسة حالة (٣): خطاب مسلمي أوروبا في مواجهة حملات تشويه الإسلام

توطئـــــــة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد،،

فإنّ من يتصدّى لتناول موضوعٍ كهذا، عنوانُه "الخطاب الإسلامي المؤثر"، مُطالَبٌ في الأساس بالإجابة عن سؤال محدّد: .. وكيفَ يكون الخطابُ الإسلامي مؤثراً؟.

إنه سؤالٌ مشروعٌ بكل تأكيد، وهو سؤالٌ جوهريٌّ جداً في موضوعنا هذا، كما أنه يؤسس لتناول منهجي للقضية موضوع البحث.

غنيٌّ عن القول أنّ الخطاب يحيلُنا إلى المُخاطَبة، التي هي عملية تواصلية، لها أركانها وعناصرها وسياقاتها وملابساتها. وهذا التواصل، يؤمل أن يكون فاعلاً وناجحاً، وهو ما يقتضي معالجةَ المضامين، والوعيَ بمن يصدُر عنه هذا الخطاب، وملاحظةَ المتلقين له، وكذلك أخذَ السياقاتِ والملابسات ذات الصلة بهذه العملية التواصلية بعين الاعتبار، وكذلك إدراك ردود الفعل وأنماط الاستجابة المترتبة عليه.

وفي هذه الورقة تناولٌ لهذه الأبعاد، كلّ على حدة، سعياً إلى التعرّف على المواصفات التي تتيح للخطاب الإسلامي امتياز التأثير المنشود.

كما تسلِّط الورقةُ الضوءَ على خطاب المسلمين في أوروبا، وما اكتنفه من ملابسات وواجهه من تحديات واجتازه من أطوار.

وليس بوسعنا ونحن نتصدى لتناول هذا الموضوع، أن نغضّ الطرف عن حالة من الضغوط على الخطاب الإسلامي أخذت تتفاعل منذ دخولنا القرن الحادي والعشرين الميلادي، تحت وطأة التطوّرات العالمية أساساً. لقد بات الخطابُ الإسلاميُّ بموجب تلك الضغوط موضع اتهامٍ أحياناً، أو موضع النقد البنّاء أحياناً أخرى، فارتفعت شعارات وبرزت مقولات منها "تجديد الخطاب الديني"، و"الحاجة إلى خطاب إسلامي جديد"، وأحياناً "تجفيف ينابيع التطرّف". والواقع أنّ المرامي في ذلك كلِّه قد تباينت، والمقاصد في هذا الخضمّ قد تعارضت، والمسالك قد تشعّبت وافترقت، وإن تقاربت الشعارات والمقولات من ناحية الشكل. ولذا فإنّنا ونحن نعي تلك الضغوط الواقعة على الخطاب الإسلامي؛ ندرك تمام الإدراك أنّ تداعينا إلى إنضاج الخطاب الإسلامي بصورة حميدة وصقله وبلورته على أسس رشيدة؛ يقطع الطريق على محاولات العبث والتلاعب بالخطاب الإسلامي، ويوفر حصانة إضافية لا غنى عنها في عملية التفاعل الحضاري في عالم متغيِّر.

ويحثّنا ذلك على إعمال النظر في موضوعنا هذا، ولذا سعينا إلى تقديم تصوّر عام، لعلّه يتأهل لأن يكون مدخلاً إلى معالم الخطاب الإسلامي المؤثر ومواصفاته. واللهَ تعالى نسأل، أن يلهمنا الصوابَ ويوفقنا للسداد، ويعصمنا من الزلل، ويصلح من أحوالنا كلها، ولله الحمدُ من قبلُ ومن بعدُ.

موافـــــق: أكتـــوبر ٢٠٠٨م بروكسيل، شوال ١٤٢٩ هـــ،

شكيب بن مخلوف

رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا

أ ــ كيف يكون الخطابُ الإسلاميُّ مؤثراً؟

أولاً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث المضامين

ثانياً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث مصدره أو من يصدر عنهم

ثالثاً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث المتلقي

رابعاً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث السياقات والملابسات

خامساً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث ملاحظة أنماط الاستجابة وردود الأفعال

سادساً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث الأدوات

أولاً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث المضامين:

لعلّ المضامينَ تكونُ الأولى بالبدء، باعتبار أنّ الخطاب ينبغي أن يكون "إسلامياً"، كما يشي به عنوانُه. فعلى عاتق الخطابِ الإسلاميِّ تقع أمانةٌ عظيمة، ومسؤوليةٌ جليلة، في أن يكون معبِّراً حكيماً عن مقاصد الإسلام وتوجيهاته، وليست هذه بالمهمة اليسيرة، طالما أدركنا أنّ الخطابَ الإسلاميّ يتعلّق بالجهد البشري الذي يستقي من المعين الإسلامي الصافي وفقَ الكيفية التي يراها "القائمون" على هذا الخطاب، وحسب المدى الذي يتعاطون بموجبه مع قضايا الواقع ورؤيتهم لها.

ثم إنّ الخطابَ الإسلاميَّ متجدِّدٌ ومتفاعل، كما أنّ له مشاربَ متنوِّعةً؛ إلى الدرجة التي تجعل التساؤلَ قائماً عمّا إذا كان هناك خطابٌ إسلاميٌّ واحدٌ حقاً.

أ) مواصفـــات عـــامة من حيث المضامين:

ولنا الآن أن نلفت الانتباه إلى مواصفات لا ينبغي إغفالها في ما يتعلق بمضامين الخطاب الإسلامي المؤثر، فهو حسب المنشود منه:

١/ خطاب يمثل انعكاساً لرسالة الإسلام السامية، ولمقاصده الكريمة، ولتوجيهاته العظيمة، كما هي مقررة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

٢/ خطاب يعكس تكامل الرسالة الإسلامية، ويستوعب مختلف الأبعاد وشتى جوانب الحياة ومستجداتها، بتماسك وانسجام.

٣/ خطاب ينطلق من صفاء الدين الإسلامي ووضوحه، وينهل من معينه الذي لا ينضب، مراعياً في الوقت ذاته سمة التنوّع والتعدّدية في واقع المسلمين وفي حياة البشر، بشتى بيئاتهم.

٤/ خطاب مبادر؛ يجيبُ على الأسئلة ويتصدى لطرح الحلول لقضايا بني الإنسان وتحديات العصر، ولكنه لا يكتفي بذلك؛ بل ويمتلك زمام المبادرة في شتى مواقع الفعل الإنساني الحميد.

٥/ خطاب يُعبِّر أصدق تعبير عن الإنسان، الذي كرّمه الله تعالى، ويتبنى قضاياه العادلة وهمومه المستعصية، بغضّ النظر عن دينه ولونه وعرقه ووطنه. فهو يبشِّر بالعدالة ويسعى للتمكين لها، ويناهض الظلم ويتصدى له، يُعلي من شأن الحرية الحقة ويناصرها، ويؤكد المساواة بين البشر ويعزّزها، يرتفع باهتمامات البشر ويسمو بها، ويصون كرامة الإنسان ويحميها.

٦/ خطابٌ يستجمعُ العنوان والمضمون، ويستوعب الشعار والتفصيل، لا يكتفي بالعموميات دون التفصيلات، ولا يقتصر على الإجمال دون التخصصية.

٧/ خطاب يستوعب حصيلةَ الماضي ويتعايش مع الواقع الحاضر، ويستشرف آفاق المستقبل، ساعياً نحو المزيد من التأثير الإيجابي الفاعل في دنيا الناس وفي حركة العصر والتاريخ، دون أن يتخلّى في غضون ذلك كله عن مرجعيته الإسلامية الصحيحة أو توجهاته الكبرى المقررة أصلاً.

ب) الخطاب الإسلامي المؤثر في تكامل مضامينه وتنوّع صوره:

ليس الخطابُ الإسلاميُّ المؤثر حالةً أُحاديّةً جامدة، تقتصر على مقولاتٍ مُختَزَلَةٍ قابلةٍ للاستدعاء الجاهز والتعسفيّ في شتى المجالات والمقامات والحالات. بل إنّ الخطاب الإسلامي، كما هو منشود، يمثل إطاراً عاماً جامعاً، يشتمل على فروع متعلقة بمسائل شتى. وكلّما اشتمل هذا الإطار على مُستوعَباتٍ أكثر تفصيلاً ومضامين أكثر دقّة وعمقاً؛ كلما أشَّرَ ذلك إلى مزيد من النضج والفاعلية وقابلية التأثير.

بهذا؛ فإنّ الخطابَ الإسلامي في إيجازِهِ العام؛ لا ينفي الحاجةَ إلى خطابٍ إسلامي مُختصٍّ بشؤون الاجتماع السياسي والقضايا الفكرية، وخطابٍ إسلاميٍّ يتصدى لمسائل الاقتصاد والتنمية، وخطابٍ إسلامي يتفاعلٍ مع مجالات العلوم والثقافة والفنون والإعلام، وخطابٍ إسلاميٍّ في شؤون المجتمع والأسرة والفرد، علاوة على خطابٍ إسلاميٍّ في قضايا الحقوق والحريات والكرامة الإنسانية، وخطابٍ إسلامي في شؤون البيئة وقضاياها، وكذلك في مجالات أخرى. على أنّ الضابطَ في هذه التجلِّيات المتنوِّعة من "الخطابات"؛ أنها تصدر عن أرضيةٍ صلبة من المفاهيم المتعلقة بالإسلام والتي لا تخرج عنها، والتي تمتاز كذلك بتفاعلها مع الواقع، وأنها وإن كانت تتشعّب في مساراتها التفصيلية واهتماماتها التخصصية؛ إلاّ أنها مشمولة بالإطار العام للخطاب الإسلامي، وهو بهذا يكون خطاباً حضارياً منفحتاً غير منكفئ، فاعلاً غير مُنْطَوٍ على ذاته.

وسيجد المسلم الذي يتفاعل مع عصره الحافل بالمتغيِّرات والذي يموج بالتحدِّيات، عبر الخطاب الإسلامي المُتبلْوِر والناضج بكل ما يشتمل عليه، ما يرتكزُ إليه في عمليةِ التفاعل، القائمةِ على التأثير والتأثر الإيجابيّيْن. ولنا أن نربطَ "حضورَ المسلمين" اللائقَ ضمن المشهدِ الحضاري الراهن بعوامل سيكون من بينها توفّرهم على خطابٍ إسلامي ناهضٍ ومتفاعلٍ، ومؤهلٍ لأن يقدِّم خياراتٍ فاعلة للبشرية ومضامين مُحكَمة بشأن ما يعتمل فيها من قضايا ومسائل، وطرحها للتداول والسجال الحضاري.

ولا ريب أنها عمليةٌ تراكمية؛ إن كانت تتطلّبُ الوعيَ بأهميتها فإنها تقتضي كذلك الممارسةَ والحضورَ في ميادين الفكر والثقافة والعلوم والتطبيقات الواقعية.

ثانياً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث مصدره أو من يصدر عنهم:

لا يصدر الخطاب الإسلامي عن جهة مرجعية واحدة، ومن هنا فإنّه خطاب متنوِّع ومتعدِّد بالضرورة، وهي حالة صحيّة في أساسها، تتيح للخطاب الإسلامي التمدّد والتكيّف، وتعفيه من المركزية المفرطة (خلافاً للخطاب الكنسي الكاثوليكي مثلاً). ولكنّ المعضلة التي يواجهها هذا الخطاب، من حيث مصدره أو من يصدر عنهم، أنّ مراكز العلم والإشعاع الحضاري (كالجامعات الإسلامية التقليدية) قد ضمرت وخبت إلى حدٍّ كبير في العالم الإسلامي، وأنّ مكانة العلماء تضعضعت في المجتمعات المسلمة وافتقرت إلى الفعالية التي كانت عليها، وأنّ حالة من التشظي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم تتوارى فيها ثقافة الحوار والتواصل الداخلي في الأمة.

وفي كلِّ الأحوال؛ فإنّ الخطاب الإسلامي متأثر بمن يصدر عنهم، بمستوياتهم العلمية والمعرفية والثقافية، وبتجاربهم وخبراتهم ومعايشاتهم البيئية، وبحظوظهم من الحكمة وبمدى أخذهم بهدي الإسلام في التواصل والبلاغ وقيمة التعارف.

وعموماً؛ لا نبالغ إن افترضنا أنّ عبئاً من أثقل الأعباء التي يواجهها الخطابُ الإسلامي، يتمثل في واقع الأمة الإسلامية الراهن. فواقعُ المسلمين اليومَ هو دون ما يرتضيه لهم الإسلام بكثير، وهو ما يصدُقُ على مجالاتٍ عدّةٍ من هذا الواقع الذي يتراوح بين وصف "عصر الانحطاط"، و"مرحلة الصحوة". والمتفق عليه هو إنّ حالَ الأمّةِ اليومَ ليست حالَ نهضة، بل هي تعبيرٌ عن وضعٍ مأزومٍ في عديد المجالات، تحفُّهُ الإخفاقاتُ والكبوات وأعراضُ التدهور، وإن كان يؤشِّر في مجالاتٍ عدّة إلى إرادةِ نهوضٍ ومحاولاتِ انبعاثٍ حضاريٍّ جديد.

من هنا؛ ينبغي أن يكون واضحاً؛ أنّ واقع المسلمين، كما هو عليه اليوم، يُضعِفُ من حظوظ الخطابِ الإسلاميِّ، ويحدّ من قدراتِه على التمدّد. بل إنّ هذا الخطابَ يواجهُ مصاعبَ ومتاعبَ مع بعض ثنايا الساحة الداخلية بالعالم الإسلامي، التي تعيش حالةً من الاستلاب للمؤثرات الخارجية والانشداد إلى مراكز التأثير الطاغي في عالمنا اليوم.

وقد تقودُنا هذه الملاحظات إلى تسجيل استنتاجات هامة، مفادها:

ــ أنّ إنضاجَ الخطابِ الإسلامي وصقلَه؛ متطلّبٌ أساسيٌّ من متطلّبات نهضة الأمة الإسلامية الحضارية، وأنّ نهضةً كهذه تنعكس انعكاساً إيجابياً على الخطاب الإسلامي بتطوُّرِه ونضوجِه أيضاً. أي أنها علاقةٌ جدليّةٌ متبادلةٌ.

ــ أنّ واقع الأمة الإسلامية ينتمي في الأساس، إلى الحالةِ التي عليها معظم البشرية اليوم. فالمسلمون يتركزون في الدول النامية والفقيرة، التي تشكل معظم سكان العالم. ويعني ذلك أنّ للمسلمين نصيباً من القدرة على التواصل الميسّر مع شركائهم في هذا الواقع، وهو ما يفرض التفاتاً إلى البشرية بفضاءاتها الواسعة المتنوِّعة، وليس الاقتصارُ على الالتفاتِ صوب مراكز التأثير في عالم اليوم (نيويورك ولندن وباريس وبرلين وروما .. إلخ).

ــ أنّ واقعَ التخلّف والأزمات التي تعتري العالم الإسلامي من شأنها أن تنعكس بتأثيراتها السلبية على الخطاب الإسلامي، طالما أنه خطابٌ متأثر بالتجربة البشرية وبمنسوب الوعي. ويفرض ذلك التزاماتٍ خاصّة على علماء الأمة وروّادها ومفكريها ومؤسساتها، بما في ذلك هذا المؤتمر الموقّر؛ في أن تسعى لتنقية الخطاب الإسلامي مما قد يعتريه من الشوائب وجوانب الضعف والقصور.

ــ أنّ واقع الأمة هذا؛ قد يكون محرِّضاً إيجابياً على إنضاج خطاب إسلامي متحرِّرٍ من أعباء الاستعلاء وأوزار الاستعمار ونزعات التمركز حول الذات، وهي أعراضٌ سلبية استبدّت بالخطاب (أو الخطابات) الغربي، وكانت لها تداعياتها السلبية في مجالات شتى.

ثالثاً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث المتلقي:

إنّ الخطاب الذي ينشُدُ التأثيرَ في المتلقين؛ عليه أن يدرك حال مشهدِ التلقي هذا. ولعلّ المعيارَ الأهمّ في هذا الشأن هو أهمية إدراك التمايزات والتباينات والخصوصيات الداخلية في مشهد التلقي إيّاه. بمعنى؛ أنه **ينبغي الحذر من مغبة التعامل مع المتلقين على أنهم كتلة أحادية جامدة ومتجانسة.** فهناك فئاتٌ وتصنيفات ينبغي التعرّف عليها بمزيد من العناية والتدقيق وإمعان النظر، والتوجّه إلى كل فئة منها بما يلائمها ويخاطبها على النحو الأمثل.

بل إنّ كلّ فئة من الفئات، تنطوي على تنوّع داخلي مفترض، يقتضي تنويعاً في الخطاب وفي أدوات الوصول به إلى متلقيه. ويكفينا في هذا المقام أن نعي كيف أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يراعي في خطابه النبويّ تباين الخصائص، فنجده عليه الصلاة والسلام قد خاطبَ الأعرابيَّ بما يراعي خصوصيته التي لا تتطابق مع خصوصيّة ساكن المدينة النبوية، رغم اشتراكهما في الانتماء العقائدي (دين الإسلام) واللسان الواحد (اللغة العربية) والحيِّز الجغرافي (جزيرة العرب).

إنّ مراعاة خصوصيات المتلقين بات تحدياً متزايداً يتوجب على الخطاب الإسلامي المؤثر أن يستجيب له ببراعة وحكمة، **فآفاق التواصل التي يحوزها هذا الخطابُ اليومَ تنفتح على آفاق عالمية** تتعدّد فيها الثقافات واللغات والألوان والمشارب، فضلاً عن سائر الخصوصيات المتباينة في النطاق المجتمعيّ الواحد. فهل يمكن تجاهل ذلك كله لمن ينشد للخطاب الإسلامي أن يبلغ مدى واسعاً من التأثير الحسن لدى الجمهور؟.

وعليه؛ فإنّ التأثير المرجوّ في المتلقي؛ يفرض مراعاة أحوال المخاطَب، بإدراك مستواه الثقافي وظروفه الاجتماعية وتحوّلاته النفسية (بتغيّر ظروف الأمم والمجتمعات مع تحوّلات الأحداث والتطوّرات والمواسم) وما استقرّ في وعيه من أحكام مسبقة وقوالب نمطية كذلك.

وبهذا؛ يكون من الواجب أن يعي المعنيّون بالتعبير عن خطاب إسلامي مؤثر؛ أنّه **لا ينبغي الاكتفاء بمدى القناعة بالخطاب من حيث كيفية التعبير عنه، بل ويجدر الاكتراث بالكيفية التي سيصل بها إلى المتلقين والتي سيستقبلونه بها،** مع تباين الأفهام والتقديرات والظروف والخلفيّات. ولا ريب أنها ليست بالمهمة المتيسِّرة؛ ومع ذلك فهي عملية تواصلية فائقة الأهمية سنجد في توجيهات الإسلام الحنيف ما يؤشر للعناية بها، كيف لا والمسلمون مطالبون بمخاطبة الناس على قدر عقولهم وتجنّب فتنتهم: (ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) (النحل:١٢٥)، (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً) (البقرة:٨٣)، (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (الإسراء:٥٣).

ومن واقع التجربة الأوروبية؛ فإنّ ما يتبيّن في هذا الشأن أنّ التواصل الإسلامي مع الجمهور الأوروبي (من غير المسلمين) يقتضي الوعي بالمنسوب الثقافي والمعرفي للمجتمعات الأوروبية، وإدراك التباينات الداخلية القائمة في هذه المجتمعات كذلك بين شريحة وأخرى. كما يتطلّبُ الأمرُ التعاملَ مع خلفيات سلبية عالقة بالذهنيات العامة الأوروبية في ما يتعلق بالشأن الإسلامي؛ فيُصار إلى تفكيكها أو تحييدها أو تجاوزها أو التخفيف من وطأتها. كما يوجبُ الأمرُ الوعيَ ما يمرّ به المجتمعُ من تحوّلاتٍ وما قد يخيِّمُ عليه من أزماتٍ أو ما يتطلّع إليه من احتياجات. وعندما تُراعَى في صوْغِ الخطاب، والتعبيرِ عنه، والوصولِ به إلى المتلقين؛ عواملُ وملابساتٌ كهذه؛ فإنه يكون أكثر كفاءة في التأثير المرجوّ.

ثم إنّ من يتأمّلُ الجهودَ الإعلامية والتواصلية المتزايدة التي يبذلها المسلمون في عالمِ اليوم، سيعثر على فجواتٍ وثغرات، منها مثلاً ذلك **الافتقار إلى السَّعة والإحاطة لجمهور المتلقين في عالم يتقارب تواصلياً.** ولعلّنا نلمس ذلك عبر التضخّم الحاصل في الثنائية التقليدية "العالم الإسلامي ــ العالم الغربي"، والتي قد تأتي على حساب اكتراثِ الخطابِ الإسلاميِّ والمعبِّرين عنه بأممٍ وثقافات تُشكِّل، من الناحية العددية ومن حيث المساحة كذلك، معظمَ المعمورة. إنها وإن كانت ثنائيةً مفهومةً في ظروفها ومتوقَعةً في سياقاتها؛ إلاّ أنّ تجاهلَ الخطابِ الإسلامي الذي يمكنه أن يتوجّه إلى أمم أفريقيا مثلاً، ولأمم آسيا كذلك بما فيها الصين والهند (تضمّان معاً ثلث البشرية)، وأيضاً للأمم اللاتينية النامية والفقيرة؛ إنما يعكس حالةً ما من القصور لا ترقَى لعالمية الإسلام، كما لا تتأهّل للتعامل مع آفاق العولمة والاستجابة لتحدياتها.

رابعاً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث السياقات والملابسات:

لقد طرأت تطوّراتٌ هامة على صعيد السياقات والملابسات ذات الصلة بالخطاب الإسلامي من قريب أو من بعيد، وذلك من قبيل **مزيدٍ من الإمكانات التواصلية** (التقنية) بين بني البشر بما يتجاوز المسافات، و**مزيد من الفرص للوصول إلى مصادر المعلومات**؛ صحيحةً كانت أم مشوّهة، شاملةً كانت أم مجتزأة، علميةً هي أم غير علمية.

ولا شكّ أن ذلك يتيح مزايا لم تكن مسبوقة من قبل، لكنه يحمل في طيّاته أيضاً إشكالات وتحديات شائكة. وينبغي على الخطاب الإسلامي المرجوّ تأثيره الحسن في دنيا الناس أن يراعي هذه السياقات ويدرك تلك الملابسات، ويتعامل معها كما تستأهله.

وعلينا في هذا المجال أن نسلِّط الضوء بصفة خاصة، على مسألة هامة في ما يتعلق بالسياقات والملابسات، يتوجب الوعيُ بأهميتها وتأثيرها. إنها تتمثلُ **بالتناول المأزوم لما يتعلّق بالشأن الإسلامي** في عديد الحالات حول العالم، فهو اتجاهٌ أخذ شكل موجات متلاحقة، تحرّكت بتأثير كوامن سلبية بشأن النظرة إلى الإسلام والمسلمين في الواقع الغربي أساساً. فإذا أخذنا بعينِ الاعتبار موروثاتٍ سلبية تغذّت على الجهلِ والأحكامِ المسبقة في بعض المجتمعات الغربية (التي تتقدّم المشهدَ الأممي في العصر الحديث)؛ فإنّ أواخرَ السبعينيات شهدت موجةً من الانشغال بالشأن الإسلامي بالتزامن مع ظاهرة "الصحوة الإسلامية" وعلى إثر أصداءِ الثورة الإيرانية كذلك. ثم جاء انهيارُ التجربة الشيوعية وتفكّك المنظومة الاشتراكية في مطلع التسعينيات لينصرفَ الاهتمامُ العام عن صراع الكتلتين إيّاهما لصالح صعود خطاب متعدِّد النسخ في الفضاء الغربي يرى في الإسلام "خصماً" يبلغ درجة "التهديد" أحياناً للعالم الغربي. وقد تفاقمت هذه الموجةُ، بكل أسف، مع منعطف الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، الذي ما زالت تداعياته تتوالَى.

لقد أذكت تلك الموجاتُ نزعةَ التناولِ المأزوم لما يتعلّق بالشأن الإسلامي في عديد الحالات حول العالم، بما جعلَ الخطابَ الإسلاميَّ ذاتَه عرضةً لموجة من المطالب بتجديده وتطويره، بعضها بمبرِّرات ودواعٍ قد تبدو معقولةً ومشروعة، وبعضُها الآخر يشي بمرامٍ مغايرة تتدرج في ما سمّاها بعضُهم "حربَ الأفكار".

خامساً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث ملاحظة أنماط الاستجابة وردود الأفعال:

يُفترَض في الخطابِ الإسلامي أن يتحلّى بالقدرة على التعاطي مع الواقع، بما في ذلك واقع المتلقين وخصوصياتهم وظروفهم. ومن المؤكد أنّ **ملاحظةَ أنماطِ الاستجابة والتنبّه لردود الأفعال يفيدان في إنضاج الخطاب وكيفية الوصول به إلى متلقِّيه على النحو الأمثل.**

ولتوضيح هذه النقطة يمكننا الاكتفاء بنموذج محدد، يتمثل في بعض وجوه الاستجابة التي يبديها الجمهور في البلدان الغربية على إثر التطوّرات الداهمة التي تتعلّق بشؤون لا تتوفر المعرفة الوافية بشأنها. هنا يتجه قطاع من الجمهور إلى خيار القراءة والمطالعة وكذلك محاولة الحصول على معلومات أوفى من أوعية الثقافة ووسائط الإعلام. لقد شهدنا ذلك

في الإقبال الكبير على العناوين الإسلامية في المكتبات الأوروبية منذ سنة ٢٠٠١ وحتى الآن، إلى درجة أنها تبوّأت أركان الأكثر مبيعاً (Best seller) في متاجر الكتب.

إنّ الخطاب الإسلامي المؤثر لا يمكنه تجاهل أنماط الاستجابة وردود الأفعال، فيمكن لدى اندلاع أزمة تتعلق بموجة إساءة إلى مقدسات الإسلام، وإلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (الرسوم المسيئة مثالاً)، أن يتم تركيز التوجّه على تقديم مضامين معرفية زاخرة للجمهور في هذا الشأن. ويمكننا أن نذكر العنوان الشهير الذي خرجت به عديد المجلات والصحف في أوروبا على إثر أزمة الرسوم الدانمركية (من هو محمد؟ ــ صلى الله عليه وسلم)؛ وذلك لأنّ الناس ببساطة اندفعت للبحث عن إجابة على هذا السؤال.

إن تباطؤ الجهود الواعية وتقاعس الساهرين عليها، في القيام بمهمّات على هذا النحو؛ سيجعل الفراغ متروكاً ربما لمحاولات العبث والتشويه أساساً.

ويقتضي الأمر، بالنسبة للخطاب الإسلامي المؤثر، أن يراعى فيه **تكييف بعض آليات طرحه وإبرازه مع جدول الأعمال العالمي.** ففي خضم الأزمة المالية والاقتصادية المتفاقمة عالمياً في هذه المرحلة، مثلاً؛ يجدر صقل الخطاب الإسلامي الاقتصادي وإبرازه، مع معالجة ما قد يعتوره من قصور وتنتابه من ثغرات. ففي غمرة انشغال الجمهرة بالبحث عن الخلل في النظام الاقتصادي العالمي تبرز الحاجة إلى الخيارات المثلى والحلول الناجعة، خلافاً للمواسم التي يأخذ بها ذلك النظام بالألباب وتنشغل الجمهرة بمنجزاته ومكتسباته التي تُعمي الأبصارَ عن مكامنِ الضعف والقصور فيه.

إنّ ردود الأفعال وأنماط الاستجابة، تعين على فهم احتياجات الناس وملاحظاتهم، وبالتالي تمكين الخطاب الإسلامي من إنضاج خيارات فاعلة ومجدية لهم. أما الخطاب المعزول عن واقع الناس فهو أعجز عن التأثير في ذلك الواقع.

أيضاً؛ فإنّ تقدير الانعكاسات وأنماط الاستجابة، تقديراً حصيفاً مبنياً على معطيات سليمة، باستشراف مآلات الأمور ومصائرها؛ يفيد في **تكييف الخطاب تكييفاً غير مخلّ**، بما يتجاوب مع خصوصيات المتلقين ويراعي أحوالَهم.

سادساً/ الخطاب الإسلامي المؤثر من حيث الأدوات:

إذا كانت الكلمةُ بحاجةٍ إلى وعاءٍ يحتويها، ويبلغ بها مقاصدَها المأمولة؛ فإنّ الخطابَ يتطلّب مراكبَ يبحر عبرَها وصولاً إلى آفاق التأثير. من هنا يبرز دورُ المؤسّساتِ الفاعلةِ التي تنهض بالتعريف والبلاغ، وتتولّى أمرَ الدعوة والتواصل. ومن هنا أيضاً يتأكّد دور وسائل الإعلام التي تنفتح على الجماهير المتنوِّعة في عالمِنا التعددي. ومن هنا كذلك تتّضح فاعليةُ الجهودِ الثقافيّةِ وأدوارُ الآداب والفنون وحتى السفر والسياحة، وغير ذلك مما يتأهّل لحمل مضامين إيجابية كانت أم سلبية.

ولا مجال لعزل مكوِّن من مكوِّنات المشهد التواصلي لعملية المخاطبة والتعويل عليه وحده. فمثلاً؛ رغم أهمية "الأدوات"؛ فإنها وحدها ليست كافية، بلا شك، في إبراز خطاب مؤثر. ولذا؛ لنا أن ننظر بمعايير ناقدة إلى بعض المقترحات والتوصيات التي خرجت بها مؤتمراتٌ وملتقياتٌ، عندما نادت بإنشاء "فضائيات موجّهة إلى العالم"، لأنّ التركيز كان يجري في عديد الحالات على "الأداة" بمعزل عن مراعاة مجمل مكوِّنات العملية التواصلية وضمان جودتها. فلا تكفي المهارة اللغوية، مثلاً، لكي تضمن للوسيلة الإعلامية التي تبثّ إرسالها من بلد ما؛ أن تحقِّق النجاح المنشود والتأثير المرغوب في أقاليم قاصية، لها خصوصياتها المتنوِّعة وظروفها المتعدِّدة. ومثل ذلك يقال أيضاً في

الترجمات السريعة لكتب ومطبوعات يتم نقلها إلى كثير من اللغات بطريقة شبه آلية، وترويجها حول العالم للتعريف بالإسلام ودفع الشبهات عنه، مع إغفال خصوصية كل مجتمع وطبيعة كل فئة وشريحة تتوجّه إليها هذه الإصدارات.

وعبر إدراكِنا لأهمية "الأدوات"، التي تطرّقنا إليها في هذا المحور؛ تكون الصورة قد تكاملت واتضح معها مدى التداخل والتعاضد بين الأركان والعناصر المشكِّلة لها. فنستطيع القول إنّ بلوغَ الخطابِ الإسلاميِّ مرتقى التأثير المنشود يفرض استنهاضاً لا يتركّز على جانب دون آخر منها، فلا مناص من تطوير الأداة، ولا اكتفاء بالأداة دوناً عن المضمون الذي يستوجب العناية والرعاية والاهتمام. ومثلُ ذلك يُقال بشأن السياقات والملابسات وما تتطلّبه من الملاحظة والاعتبار، وكذلك أحوال أولئك الذين يصدُر عنهم الخطاب الإسلامي ومن يتقلونه أيضاً.

وباستجماعنا أطرافَ المشهد، تتضح مداخل التأثير، ومواصفاته، بما يفرض علينا جميعاً، في هذا المؤتمر وفي غيره، توجّهَ كلِّ صوبَ مسؤولياته الجليلة في عملية الاستنهاض، وأن يدرك كلّ منا أنه على ثغرة سيكون للقصور فيها تأثيره المؤكد على فعالية الخطاب الإسلامي وقدرته على التأثير المنشود.

ب ــ الخطاب الإسلامي في التجربة الأوروبية:

أولاً/ مسلمو أوروبا ــ تبلوُر التجربة ونموّ الخطاب

ثانياً/ دراسة حالات منتقاة:

دراسة حالة (١): الخطاب الإسلامي في أوروبا من واقع "ميثاق المسلمين في أوروبا"

دراسة حالة (٢): الخطاب المسجدي في أوروبا

دراسة حالة (٣): خطاب مسلمي أوروبا في مواجهة حملات تشويه الإسلام

أولاً/ مسلمو أوروبا ــ تبلوُر التجربة ونموّ الخطاب:

ربما بدأ الخطابُ الإسلاميُّ في التجربة الأوروبية الغربية، بالبروز قبل عقودٍ قليلةٍ من الزمن (خلال النصف الثاني من القرن الميلادي العشرين)، عبر التركيز على المنحى الدعويِّ الخالص في الغالب، وهو الذي يرمي للتعبير المباشر عن محاسِن الإسلام والردّ بطريقة ميسّرة على الشبهات المثارة حول هذا الدين الحنيف، واجتذاب الباحثين عن الحق إلى هذا الدين القيِّم.

لقد كانت المساجدُ والمراكزُ الإسلامية، والمؤلفات الإسلامية المختصّة بعرض الدين الإسلامي، وكذلك الملتقيات الدعوية؛ هي المنابر والوسائل التي تم التعبير من خلالها عن الخطاب الإسلامي.

ولكن؛ لم يكن مسلمو أوروبا الغربية قد برزوا حتى ذلك الحين باعتبارهم مكوِّناً مستقراً من مكوِّنات فضاء مجتمعي متنوِّع.

ولم يستغرق الأمر طويلاً، فمع تَبَلْوُرِ قضايا مستجدّة للوجود الإسلامي في أوروبا، باتساع هذا الوجود وتجذّره في الواقع الأوروبي الغربي؛ أخذت أسئلةٌ غير مسبوقة تُطرَح على مسلمي أوروبا. وبهذا؛ وإدراكاً من مسلمي أوروبا، لأهمية إنضاج خطاب واضح وفعال، كان التداعي إلى إقامة مؤتمرات جامعة وندوات تخصّصية، تعالجُ قضايا شتى موضع الاهتمام وتقتضي تحديد مواقف إزاءها أو التعبير عن رؤى وتصوّرات بشأنها. من هنا جاءت مثلاً سلسلة من المؤتمرات والندوات التي عالجت قضايا اندماج المسلمين في المجتمعات الأوروبية، ومسائل التوطين والمواطنة والمشاركة، وما إليها. ومن أمثلة ذلك؛ مضامين المؤتمرات السنوية التي عقدها "اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا"، حيث يتركّز أكبر عدد من المسلمين في أوروبا الغربية.

ولم يتوقّف الأمر عند هذا الحد؛ فقد تبلوَرت القناعةُ بالتدريج بأنّ الأمر يتطلّب التوجّهَ إلى إقامةِ مؤسسات متخصِّصة رفيعة المستوى، لتقديم معالجات تفصيلية تفيد في نهوض خطاب إسلامي فاعل ومؤثِّر ومنضبط كذلك بالإطار الشرعي. هكذا مثلاً؛ نشأ "المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث" قبل إحدى عشرة سنة (١٩٩٧)، وبرز معه خطاب فقهي يتصدى لمعالجة واقع مسلمي أوروبا.

ولكنّ بعضَ التحدياتِ التي واجهَها، وما زال يواجهُها، الوجودُ المسلمُ في هذه القارة ليست باليسيرة، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار جملةً من القضايا التي تشغل اهتمام مسلمي أوروبا، كهموم التربية وشواغل الثقافة ومسائل التواصل بين الأجيال وغير ذلك.

ولعلّ منعطف الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ قد حمل معه تحدِّياتٍ شائكة وتعقيدات جمّة إلى واقع مسلمي أوروبا، ولنلاحظ هنا كيف تعامل خطاب مسلمي أوروبا مع هذا المنعطف. لقد أدّت التطوّرات الداهمة التي تم معها في عديد الحالات تحميل الإسلام والمسلمين والثقافة الإسلامية، وبشكل تعسفيّ، اتهاماتٍ بالتطرّف والتشدّد والإرهاب؛ إلى **بروز خطاب ركّز لبعض الوقت على موقف التبرُّؤ** مما يجري من ممارسات شائنة يحمل القائمون عليها لافتات تدّعي انها "إسلامية". ولمعالجة التأثيرات السلبية؛ سعت عديد الجهود التي بُذلت في هذا السياق إلى **توعية الجمهور بخطورة تحميل الإسلام وعامّة المسلمين وثقافتهم الإسلامية كذلك، جريرةَ ما تقوم به فئةٌ ما من أفعال منبوذة ومستنكرة.** وفي السياق؛ أخذت المعرفةُ تتزايد لدى الجماهير الأوروبية بواقع المسلمين المتنوِّع والمتعدِّد، بحيث لا يمكن لفئةٍ تحمل تصوّراتٍ متشدِّدةً أو تستأنس استهدافَ الأبرياء أن تعبِّر عن مجمل ساحة المسلمين. ولكنّ الخطاب الذي حاول تفكيك

مرتكزات التشويه المتعلِّق بالإسلام والمسلمين وثقافتهم كان يواجه مقاومةً ضارية في عديد الأوساط الإعلامية والثقافية والسياسية، وإن كان يجد بالمقابل شركاءَ ومتعاونين معه من تيّارات الوفاق والحوار في المجتمعات الأوروبية.

أي أنّ **الخطاب الإسلامي في أوروبا لم يكن يتحرّك دوماً في بيئة مشجعة**، رغم حقيقة الاهتمام الإعلامي الواسع بالشأن الإسلامي بعامّة بعد منعطف السنوات التي خلت.

ومن جانب آخر؛ فقد حذّرت بعض الأصوات المسلمة من مغبّة الإمعان في ما سمّته "**خطاباً اعتذارياً أو دفاعياً**"، **يركِّز على تبرئة ساحة المسلمين وقد يكتفي بهذه المهمّة أساساً في بعض الأحيان.** وتكتسب هذه الملاحظات شيئاً من قيمَتِها من الأدوار المركّبة المنتظرَةِ من الخطاب الإسلامي في أوروبا، بما في ذلك دور الحضور والمشاركة والتعبير الواثق عن الذات وكذلك الدفاع عن مكتسبات المسلمين وحقوق أجيالهم، في ظل متغيِّرات بدت جارفة أحياناً (متغيِّرات قانونية وتشريعية، مثلاً، باعتماد قوانين مثيرة للجدل تتعلّق بالمسلمين أساساً).

ولما أخذت مزيدٌ من التساؤلات تُطرَح في الواقع الأوروبيِّ بما يتّعلق بالمسلمين ووجودهم؛ **ارتأى مسلمو أوروبا أهمية صياغة تصوّراتٍ محدّدةٍ والتعبير عن مواقفهم بشأن جملة من القضايا الكبرى والمسائل التفصيلية**، فكان "ميثاق المسلمين في أوروبا" استجابةً واعيةً وفاعلة لهذا التحدي.

إنّ أحد جوانب الأهمية في هذا الميثاق، الذي استغرق أعواماً من المشاورات والمداولات على مدى القارة الأوروبية وبلغات عدّة؛ يكمن في أنه **يقدِّم** "**مضامين**" **للخطاب الإسلامي في القارة الأوروبية.** إنه لا يكتفي هنا بردود الأفعال، بل يحاول أن يعبِّر بثقة عن تصوّر يميل إلى التكامل في ما يتعلق بالنظرة إلى الإسلام ودور المسلمين وشؤون المجتمع، بما في ذلك قضايا ومسائل مطروحة بقوّة في الأوساط الدينية والاجتماعية والثقافية والإعلامية.

وقد حتّمت جملةٌ من التطوّرات، التي تندرج عموماً في سياق حمّى التشويه والتحريض و"الإسلاموفوبيا"؛ أن ينصرف قدرٌ من الاهتمام إلى كيفية التعامل مع هذه الحمّى، ووضع معالم خطاب لا يركن إلى ردود الأفعال، بل يحاول تولِّي زمام المبادرة بدلاً من ترك الساحة لأهواء بعض رسامي التشوية وكتّاب التحريض ومخرجي الكراهية. وهكذا كانت أزمة الرسوم المسيئة للمقام النبوي الشريف (على صاحبه أفضل الصلاة والسلام) والمقدّسات الإسلامية، وما تبعها من تفاعلات حادّة، حالة أُخضعت للنظر والتحليل والتقويم، واستُخلصت منها العبر والدروس، بالشكل الذي أفضى إلى وضع **خطوط استراتيجية على مسارات التحرّك في التعامل مع موجة الكراهية والتشويه المعادية للإسلام.** لقد ركّزت تلك الخطوط الاستراتيجية، التي بادر قسم المواطنة والعلاقات العامة باتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا إلى وضعها، على خطاب التعامل مع حمى "الإسلاموفوبيا" تلك، فكان توصيف طبيعة الحمّى، والأطراف الفاعلة فيها، والمرامي التي تتداخل في إذكائها، ومعالم الخطاب الذي ينبغي إبرازه في مواجهتها، وكذلك مضامين الخطاب التي يمكن أن تُستدعى في التعامل معها وتفكيك مرتكزاتها.

وفي خضمّ واقع تبرز فيه التحديات، ويحفل ببعض المتغيِّرات أيضاً؛ سُلِّطت الأضواءُ على الخطاب المسجدي في أوروبا، بصور سلبية أحياناً وإيجابية أو منصفة أحياناً أخرى. كما التفت مسلمو أوروبا إلى مسؤولية تعزيز حضور المسجد ودور الأئمة، وترشيد التجارب القائمة على هذا الصعيد الحيوي، خاصة وأنّ المساجد والمراكز الإسلامية تمثل نقاط الارتكاز ومحاور التجمّع والتبلور في واقع مسلمي أوروبا. هكذا، صدرت المذكرة التوجيهية المتعلقة بالمساجد والأئمة في أوروبا، عن اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، لتكون معالجة هامة ونوعية في هذا المجال.

وفي في القسم التالي تأتي دراسةٌ لحالاتٍ منتقاة، عن الخطاب ومساراته المتشعِّبة من واقع مسلمي أوروبا.

ثانياً/ دراســـة حـــالات منتقـــاة:

دراســـة حـــالـــة (١):

الخطاب الإسلامي في أوروبا من واقع "ميثاق المسلمين في أوروبا"

في الأول من محرّم لعام ١٤٢٩هـــ، الذي وافق العاشر من يناير ٢٠٠٨م؛ احتفل مسلمو أوروبا بالتوقيع على ميثاقهم، "ميثاق المسلمين في أوروبا"، وذلك في عاصمة الوحدة الأوروبية بروكسيل، وذلك بعد أن أقرتها مئات المؤسسات الإسلامية في أوروبا واعتمدها مؤتمر الأئمة والمرشدات الدينيات في أوروبا المنعقد في فيينا في أبريل ٢٠٠٦. وليس من المبالغة القول إنها الوثيقة الأهم من نوعها ربما في سجل الوجود الإسلامي الحديث في القارة الأوروبية.

وقد انطلقت فكرة وضع ميثاق للمسلمين في أوروبا في عام ٢٠٠٠، وذلك بمبادرة من "اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا"، وقد سهرت منذ ذلك الحين لجنة متخصصة على إنفاذ هذا المشروع.

وتمثلت مهمّة هذا الميثاق في تحديد عدد من المنطلقات والمبادئ، وفق قواعد الفهم الإسلامي العام وخصوصيات الواقع الأوروبي، ووضع أسس للتفاعل الإيجابي في المجتمع.

وهكذا جاء "ميثاق المسلمين في أوروبا" الذي يقع في ست وعشرين مادة، وتتوزع مواده على محورين اثنين، أولهما "من منطلقات الفهم الإسلامي"، وثانيهما "الوجود الإسلامي في المجتمع". ويتناول المحور الثاني هذا ثلاثة بنود هي "أسس التعامل في الدائرة الإسلامية"، و"في مقتضيات المواطنة"، و"ملامح الإسهام الإسلامي في أوروبا".

ويقدِّم "ميثاق المسلمين في أوروبا" تصوّراً متوازناً ومتعدِّد الأبعاد لعلاقات الوجود المسلم الأوروبي. فهو يتطرّق إلى أربعة مستويات من العلاقات ذات الأثر في هوية مسلمي أوروبا. فهناك مستوى يتعلّق بمسلمي أوروبا أنفسهم، وهو مستوى يتأسّس على الاشتراك في الانتماء الديني والانتماء الأوروبي معاً. هناك مستوى يتعلّق بعلاقة "الانتماء" للأوطان الأوروبية، وهي العلاقة التي تفرض "أولويةَ التزام بمقتضيات المواطنة". وفي الوقت ذاته؛ هناك محافظة على علاقة التواصل ضمن دائرة الانتماء المسلم في الفضاء العالمي، وهي علاقة محكومة بمنطق الأخوّة، ويشير الميثاق إلى أنها تندرج في إطار الصلة الطبيعية بين المنتسبين للدين نفسه. ثم إنّ هناك مستوى يتعلّق بالانتماء الإنساني الجامع، في عالم واحد ومتنوِّع. وما يلفت الانتباهَ أنّ الميثاق استفاض في تناوله لهذا المستوى، لأنّ آصرة الانتماء الإنساني تبقى القاسم المشترك في المستويات جميعاً، ولكونها تمثل أرضيّة للتعايش المتبادل وتنطوي بحدِّ ذاتها على رؤية للواقع البشري في سياقات شتى.

ومن يتعامل مع هذا الميثاق من خلال ملاحظة السياق الزمني لإصداره؛ فسيجد أنه يأتي بعد أن اجتذب مسلمو أوروبا اهتماماً سياسياً وإعلامياً غير مسبوق في زخمه وطابعه. فقد أصبحت عدد من شؤون مسلمي أوروبا مطروحة بزخم فائق في الجدل السياسي والإعلامي والثقافي في السنوات الأخيرة. وقد زاد ذلك من أهمية صدور هذه الوثيقة ومن الأصداء التي رافقت ذلك.

خطوات الوصول إلى "ميثاق المسلمين في أوروبا":

منذ مطلع سنة ٢٠٠٠، تداول "اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا" لوضع مشروع ميثاق للمسلمين في أوروبا، يحدد منطلقات عامة للفهم الإسلامي، ويبين قواعد لاندماج المسلمين في المجتمع في إطار المواطنة.

وقد شكل الاتحاد لجنة لإعداد المشروع، الذي تمت مناقشته في مؤسساته القيادية، ثم عُرض المشروع على العديد من الهيئات الإسلامية الأوروبية، التي اجتمع مندوبون عنها في ندوة جامعة بمدينة بروكسل في يناير ٢٠٠٢. ثم وقع تعميم المشروع على أكبر عدد ممكن من المؤسسات الاسلامية الاوروبية التي لم يتيسر لها حضور ندوة بروكسل لإبداء ملاحظاتها واقتراحاتها.

وبعد اعتماد التعديلات وإدراجها، تم التوصل الى الصيغة النهائية للميثاق بصورته الحاضرة، وقد اعتمدها مؤتمر الأئمة والمرشدات الدينيات في أوروبا المنعقد في فيينا في أبريل ٢٠٠٦.

وقد أقيم حفل التوقيع على "ميثاق المسلمين في أوروبا" في فاتحة العام الهجري ١٤٢٩ هـ، الذي وافق العاشر من يناير ٢٠٠٨.

ولم يأت صدور هذا الميثاق من فراغ، بل كانت له دواع عدة، من أبرزها:

١. الرصيد الحضاري الإسلامي الذي أسهم في إثراء الحضارة الأوروبية والحضور الإسلامي العريق الذي يمثله المسلمون ــ بالاخص ــ في شرق أوروبا، مع الاستقرار الذي يشهده المسلمون اليوم في العديد من دول أوروبا الغربية.

٢. ضرورة ترسيخ قواعد المواطنة القائمة على المساواة والتكافؤ في الحقوق، والاعتراف بالمسلمين كفئة دينية أوروبية.

٣. ضرورة التقارب بين المسلمين في أوروبا لمواكبة نمو وتقدم الوحدة الاوروبية.

٤. الحاجة إلى تدعيم قيم التفاهم وتعزيز السلم والرفاه الاجتماعي، وتوطيد الاعتدال والتواصل الحضاري بعيداً عن كل اتجاهات الغلوّ والتهميش.

٥. الحضور العالمي للإسلام باعتباره أحد الأديان الكبرى، بما يملكه من رصيد روحي وحضاري وبشري هام، وما تستلزمه المصالح المشتركة من ضرورة التواصل والتقارب مع الغرب عموما، ومع أوروبا خصوصا، يقتضي توطيد سبل التعاون واشاعة العدل والسلام العالمي.

٦. إنّ كل هذه الإعتبارات دعت المنظمات الإسلامية الأوروبية، لوضع هذا الميثاق، الذي يؤمّل أن يعزّز من دور الوجود الإسلامي كرافد نافع، يفيد المجتمع الأوروبي ويفتح له جسوراً للتواصل مع البُعد الإسلامي في العالم.

يحمل إصدار "ميثاق المسلمين في أوروبا" دلالات عدة ذات أهمية، ومنها:

١. أنّ المسلمين في أوروبا حريصون على الحضور الواثق بالذات في مجتمعاتهم الأوروبية، والتعبير عن منطلقاتهم الدينية وفهم لدورهم وتصوّراتهم بشأن قضايا ومسائل عدة.

٢. أنّ المسلمين في أوروبا متمسكون بخيار المواطنة الصالحة والمشاركة الإيجابية الفاعلة في شتى مناحي الإسهام في الواقع الأوروبي الجديد الذي يشكلون جزءاً منه.

٣. أنّ المسلمين في أوروبا واعون بحقوقهم، ومدركون لالتزاماتهم، وأنهم يتطلعون إلى دور أكثر فاعلية لهم في أوروبا الموحدة وفي صناعة مستقبلها.

٤. أنّ المسلمين في أوروبا، على تنوّعهم وتعدّد مشاربهم؛ قادرون على جمع كلمتهم والتعبير عن أنفسهم بطريقة واعية ومؤثرة ومتفاعلة مع الواقع.

٥. أنّ المسلمين في أوروبا في تفاعلهم الإيجابي مع مجتمعاتهم الأوروبية وفي تعاطيهم الواعي والمسؤول مع شتى المسائل والتحديات من حولهم؛ فإنهم يستندون إلى منطلقات أساسية في الفهم الإسلامي العام.

٦. أنّ المسلمين في أوروبا لم ينكفئوا على أنفسهم أو يلجؤوا إلى خيار التقوقع والعزلة رغم كل الأزمات والمتغيرات المتسارعة التي شهدها المناخ العام في أوروبا والعالم خلال السنوات الأخيرة، وبالأخص منذ خريف سنة ٢٠٠١.

٧. أنّ المسلمين في أوروبا يريدون إيصال كلمتهم وصوتهم بأنفسهم أساساً، بدلاً من أن يتركوا غيرهم يتحدث عنهم وبخاصة من غير المنصفين أو حتى المتحاملين على مسلمي أوروبا وعلى الدين الإسلامي الحنيف والثقافة الإسلامية.

دراســة حــالــة (٢):

الخطاب المسجدي في أوروبا

إن كان المسجد داراً للعبادة وإقامة الشعائر؛ فإنّ دوره يتسع للإشعاع الإيجابي على جوانب شتى من الحياة، ودون تعطيل الأدوار الإيجابية الأخرى لمكوِّنات المجتمع وركائزه.

فمن المعلوم أنّ المسجد في عهد النبي الأمين صلى الله عليه وسلم لم يكن مجرد مساحة للصلاة، ولم يكن حكراً على الرجال وحدهم، أو على فئات عمرية محدّدة؛ بل كان مركز إشعاع للمجتمع كلِّه، ومقرّاً للقيادة وتدبير الشؤون العامة، وصرحاً للعلم، وداراً للقضاء، وقاعة للاجتماع، ومحضناً للتربية، ومحطةً للجهد الإعلامي الذي يبني ولا يهدم، ومركزاً للتكافل الاجتماعي. وفوق هذا فقد اضطلع المسجد بمسؤولية تحسّس مشكلات الناس، والمبادرة إلى حلّ همومهم. ولعلّ في هذا كله ما يفسِّر الموقع المركزي الذي اتخذه المسجد في تخطيط المدينة الإسلامية، بحيث ارتبطت بالمسجد الجامع أحياء المدينة وأسواقها ارتباط القلب بشرايين الحياة.

إنّ الدور المنشود من المسجد يجعله موئلاً لفئات الجمهور على تنوّع خصائصها وتعدّد احتياجاتها، يقيم فيه الناس الشعائر الإسلامية، ويستفيدون فيه من الخطابة الإيجابية التي تشحذ العقل وتصقل إرادة الخير وتنمِّي العاطفة البنّاءة، فتقوِّم السلوك وترشد إلى الهدى والفضيلة والإحسان في مسالك الحياة. وحريّ أن يستفيد الجمهور في ارتياده للمساجد من حِلَق القرآن والسنة والذكر، ومن دورات العلوم الشرعية والكونية، ومن برامج التوعية والإرشاد والعمل التطوعي وورش العمل، ومن أطر العمل النسوي والشبابي والطفولي، ومن وسائل الإيضاح التعليمية والأجهزة التقنية التفاعلية التي تواكب المستجدات وتوظفها لما فيه الصالح العام.

وإنّ المسلمين في أوروبا، في اتجاههم لإقامة المساجد والمراكز الإسلامية، بمواصفاتها المعمارية اللائقة بها وبما تشتمل عليه من مرافق وخدمات؛ إنما يجسِّدون بذلك صورة من صور الاندماج الإيجابي في مجتمعاتهم الأوروبية، ويعبِّرون أيضاً عن حضور لائق ضمن فضاء المواطنة التي تتسع للجميع في رحاب القانون والحقوق العامة والخاصة والحريات الدينية والشخصية. ولا ريب أنّ نهوض المساجد والمراكز الإسلامية بدورها على النحو الأمثل؛ يمثل خدمة لفئات المسلمين، ودعماً للتماسك المجتمعي، وينطوي أيضاً على إشعاع على الجمهور على اختلاف مشاربه، ويشتمل كذلك على فرص التواصل المتبادل معه.

ولا ريب في أنّ للمسجد مكانة متميزة في حياة المسلمين أينما كانوا، كما لا يمكن إغفال دوره في واقع مسلمي أوروبا وفي مشاركتهم المجتمعية، وفي تجسيد المعاني الإنساني النبيلة كالمساواة ونبذ السلالية (العنصرية)، والتراحم والتكافل والتعاون على الخير. ويرقى حضور المساجد في البلدان الأوروبية لأن يجعلها دوحة النشاط المجتمعيّ وموئل الجهد الخيري والإنساني للمسلمين على المستوى المحلي. كما أنّ للمسجد موقعه الذي لا غنى عنه في تحفيز التواصل المجتمعيّ وتحقيق التفاهم ونزع فتيل التوتّرات.

ويُنتظَر من الأئمة وإدارات المساجد، مع المؤسسات الإسلامية ككلّ؛ أن تعبِّر عن الاحتياجات الدينيّة وعن الاهتمامات المجتمعيّة للمسلمين، بما في ذلك ما يتعلق بشؤون الأحوال الشخصيّة مثلاً. وإنّ ممّا يعين على جودة الأداء في هذا المجال؛ النهوض بأطر مختصّة، كروابط المساجد أو مجالس الأئمة أو الهيئات الدينية المسلمة وما في حكمها.

وفي ما يلي مواصفات وضوابط تتعلق بالخطاب المسجدي في أوروبا، نستقيها من وثيقة توجيهية مخصصة لشؤون المساجد والمراكز الإسلامية والأئمة في أوروبا، أعدها قسم المواطنة والعلاقات العامة باتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، استناداً إلى ندوة عقدها في بروكسيل بتاريخ ١٦ و١٧ يونيو ٢٠٠٧ وحضرها ثلة من المشايخ والأئمة الفضلاء من بلدان أوروبية شتى.

وقد روعيت في هذه التوجيهات؛ التباينات التي ينطوي عليها الواقع الأوروبي، والتنوّع الذي يطبع واقع المسلمين في هذه القارة وظروفهم والتي تنعكس أيضاً على تجاربهم في مجال إقامة المساجد والمراكز الإسلامية وتسيير شؤونها.

ولكي ينهض المسجد في أوروبا بهذه الأدوار؛ فإنّ إدارته معنيّة بأن تخصِّص الموارد البشرية والمادية اللازمة، وتحديد مهام ومسؤوليات في هذا الشأن كمسؤول العلاقات العامة أو لجنة الإعلام وما إلى ذلك.

وفي ما يلي بعض من الوسائل والأنشطة التي يرتجى من المساجد القيام بها على الصعيد الخارجي، على سبيل المثال لا الحصر:

- إقامة لقاءات الاستقبال والاجتماعات العامة والمنتديات الحوارية والثقافية والمؤتمرات والمعارض، بما ينسجم مع طبيعة المسجد ودوره المنشود منه وإمكاناته.
- تنظيم أيام مفتوحة على الحيّ والجيران، حتى يتعرّف سكان الحي على أنشطة المسجد ويتحقّق الانسجام المتبادل. ويمكن التنسيق بين المساجد على مستوى المدينة أو الإقليم أو البلد لتنظيم هذه الفعالية.
- إقامة بعض الأنشطة المخصِّصة لتركيز التواصل مع عامة الجمهور، مثل احتفالات العيد وحملات تنظيف الحي والتبرع بالدم والإفطارات الجماعية التي تستضيف عامة الجمهور في رمضان، علاوة على فعاليات التعريف بالإسلام والثقافة الإسلامية والمساجد لفئات الجمهور كتلاميذ المدارس وكبار السنّ وطواقم الإسعاف والمطافئ والشرطة والخدمات، وغير ذلك.
- إقامة البرامج والمشروعات الخيرية والإنسانية، ومن ذلك حملات إغاثة المتضررين من الكوارث، أو برامج التضامن مع الفقراء والمشردين، وغير ذلك.
- قيام المسجد بجهود إعلامية للتواصل الإيجابي مع فئات الجمهور، سواء بطرق تقليدية أو متجددة، وبمضامين خطاب تنسجم مع رسالة المسجد وحضوره. ومن ذلك إصدار مجلة أو نشرة، وتحرير مجلة جدارية، وتدشين موقع على الإنترنت، أو تخصيص متحدث إعلامي، أو إصدار مواقف صحفية تنسجم مع رسالة المسجد ودوره، ويمكن أن يكون ذلك بالشراكة والتعاون مع جهات أخرى مسلمة أو غير مسلمة، أو بالمساهمة بالمحتوى في وسائل إعلامية محلية (مجلة الحي، أو إذاعة محلية، أو موقع إلكتروني عام، مثلاً).
- تنظيم فعاليات تعاونية مشتركة على مستوى الحي والمدينة والمؤسسات ذات الاهتمام المشترك في مجالات عدة.
- المشاركة والتنسيق مع الجمعيات والمؤسسات ذات الصلة بالمجالات التي تقع ضمن نطاق الاهتمام بالنسبة لدور المسجد وحضوره، ومن ذلك المشاركة في الأطر التنسيقية ومجموعات التعاون وفرق العمل في الحقول المستهدفة، وبالصفة التي تعزِّز دور المسجد في تشجيع مشاركة المسلمين المجتمعية.

الخطابة في المساجد:

للخطابة في المساجد أهمية بالغة، فهي عماد التواصل مع جمهور المصلين، بل مع نطاقات أوسع من المتلقِّين تواكب الخطب وتتابعها بوسائل الاتصال المتاحة. ولا شكّ أنّ ذلك يفرض العناية بشكل الخطبة وبمواصفاتها، وبمضامين ما تشتمل عليه أيضاً.

ويجدر بكل خطيب أن يستوقفه مليّاً عظم الدور ومسؤولية الكلمة، وأن يتأمل في ما يعنيه ذلك بالنسبة لمن يتولى إلقاء اثنتين وخمسين خطبة جمعية في العام الواحد تُضاف إليها خُطَبُ العيد؛ فذلك مما يضفي أهميّةً فائقةً على مثل هذه المناسبة الأسبوعية التي يأتيها مصلّون في حاجة إلى من يرشدهم فيما يهمّهم من أمور دينهم ودنياهم .

وفي ما يلي عرض موجز لتوصيات تتعلّق بشكل الخطبة ومضامينها..

أ ــ في شكل الخطبة:

١. يوصَى الإمامُ الخطيبُ بحسُن إعداد الخطبة والاستعداد اللائق لها، لما تمثله من أهمية بالغة، مع التحوّط من الارتجال غير المضبوط وصعود المنبر بدون تهيّؤ مُسبَق.

٢. ضرورة الاعتناء بالهندام واللباس اللائق بهذه المناسبة الدينية الهامة. ويُنصَح بأن يكون الإمام بارزاً بلباسه مع تحاشي التكلّف، وأن لا يصعد المنبر بملابس اعتيادية كي لا يفقد هيبته بين المصلين، بل يكون لباسُه مقبولاً وباعثاً على الاحترام.

٣. الصراخ والصياح يُضعِفان الخطبةَ ولا يقوّيانها، أما الغِلْظَةُ في الأسلوب والأداء الحادّ في الإلقاء والملامح العابسة والحركات التي توحي بالشدّة فهي إجمالاً من بواعث النفور لدى الجمهور.

٤. على الخطيب أن يتمثل في سلوكه وتصرّفه ووجدانه ما يقول؛ حتى يكون أسبق الناس للانتفاع بالتوجيه، ولكي يكون أقدر على التأثير، فما يخرج من القلب هو أقدر على الوصول إلى قلوب المستمعين.

٥. إنّ مراعاة العامل اللغوي في الخطابة هام، وهو ما يوجِّه إلى البحث عن الخطيب المحسن للغة البلد أو الإقليم الذي يقع فيه المسجد، إلى جانب اللغة العربية، ويقتضي ذلك أيضاً مراعاةَ اللغة التي يتحدث بها معظم روّاد المسجد إن لم تكن تلك هي إحدى هاتين اللغتين (العربية ولغة المنطقة)، وقد نبّه القرآن الكريم إلى أهمية اللغة في هذا الشأن كما في قوله تعالى (وما أرسَلْنا من رَسولٍ إلاَّ بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدي مَنْ يَشاءُ وَهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ .(

٦. يُوصَى الخطيبُ بعدم الإطالة والاسترسال في الخطبة، مع الحرص على اجتذاب انتباه السامعين وإعانتهم على التركيز في ما يُقال، وهو ما يقتضي توظيفَ نبرة الصوت ووتيرة الإلقاء وتفاعل الملامح ولغة الجسد، علاوة على العناية بالمضمون والصياغات والمفردات.

٧. على الإمام مراعاةُ أحوالِ المخاطَبين، من جمهور المصلين ومن عامة المسلمين، بل ومن عامة المجتمع الذي يعيش فيه، فيراعي تَنَوُّعَ مداركِهم وتعدُّدَ مشاربهم واختلافَ أحوالهم وشواغلهم، وهو ما يستدعي كذلك حرصَهُ على تحاشي القيامِ بفعل أو الإدلاء بقولٍ قد يُساءُ فهمُه أو يُؤَوّل على غير المقصد الحسن .

٨. يندرج في باب مراعاة أحوال المخاطبين إدراكُ خصوصيّةِ جمهور المسجد الذي يخطب فيه الإمام، لجهة شرائحهم العمرية وتوزيعهم على الجنسيْن، وكذلك خصوصيّاتهم الوظيفية أو المهنية ومستوياتهم التعليمية والأكاديمية، كما يلحق بذلك معرفة أوضاعهم الاجتماعية وشواغلهم وهمومهم.

٩. ينبغي مراعاة خصائص كل من الخطبة والدرس، وطالما أنّ المنتظر من الإمام والوعّاظ والمرشدين عدم الاكتفاء بالخطب الجمعية؛ وأنّ دورهم المسجدي يشمل أيضاً إقامة دروس العلم والإرشاد والتوعية، مع السعي لاشتمال شتى فئات الجمهور وشرائحه بهذه الدروس؛ فإنّ ذلك يقتضي التفريق بين مواصفات كل من الخطبة والدرس في الشكل والأسلوب والمحتوى لإنجاح كل منهما وتحقيق الأهداف المرعية منهما.

ب ــ في مضامين الخطابة:

١. الحرص على أن تتضمّن الخطبُ المسجديةُ رسائلَ إيجابية واضحة لجمهور المصلين بمختلف فئاتهم، ولمن يواكب الخطبةَ بوسائل الاتصال الأوسع نطاقاً (كالخطب المسجّلة أو التي يتم نشر مضامينها إعلامياً)، مع الإشارة إلى أنّ حقيقة إلقاء اثنتين وخمسين خطبة جمعية في العام الواحد تُضاف إليها خُطَبُ العيد؛ إنما تضفي أهميّةً فائقةً على مثل هذه المناسبة الأسبوعية التي يأتيها مصلّون في حاجة إلى من يرشدهم فيما يهمّهم من أمور دينهم ودنياهم، وفيهم من من لا يرتاد المسجدَ إلاّ يوم الجمعة وربما بشكل متقطِّع.

٢. يُستحسَن أن يستفيد الخطيبُ من الأحداث والمناسبات الدينيّة والعامّة، لتكون منطلقاً للدروس والخطب، والإرشاد والتوجيه من خلالها، وبما ينمِّي حاسّة التفاعل الإيجابي لمرتادي المساجد مع هذه المناسبات.

٣. تحاشي التعرّض للهيئات أو الأشخاص، وتجنّب التقريع الشخصي أو حتى اتخاذ المنبر منصّةً للردّ المباشر، وإنما يكون تناولُ المسائل المنسجمة مع رسالة الخطبة وطابعها في نطاقها العام الذي لا يخرج عن هذه الضوابط.

٤. يجدر بالإمام أن يتهيّأ للخطبة بالاطلاع الوافي على ما يتناوله في خطبته من شتى الجوانب، بل وطلب المشورة من أهلها في المجالات ذات الصلة، بما في ذلك مساندته في تقدير الموضوعات التي يمكنه معالجتها في خطبته أو في توفير المادة العلمية والمصادر المساعدة والوقوف على المعطيات اللازمة.

٥. يُوصَى المعنيُّون من ذوي الاهتمام والاختصاص والكفاءة، بالنهوض بمشروع خطب منبريّة موجّهةٍ للأئمة والخطباء في أوروبا، بما يحقق المقاصد الشرعيّة من دورهم الفاعل، وكي يعينهم ذلك على أداء رسالتهم الإيجابية على أتمّ وجه، مع أهمية خروج هذا المشروع بنتاجه في أنجع مضمون وأفضل صورة وبشكل مطبوع ومتعدِّد الوسائط (مسموع، مرئي، إلكتروني).

٦. ينبغي على الخطيب إعطاء الأولوية في الخطب لدعم تمسّك المسلمين الصحيح بدينهم بدون تفريط ولا غلوّ، والنهوض بأحوالهم وتنمية واقعهم من شتى جوانبه، ومساعدتهم على تحقيق حضور إيجابي لائق في مجتمعاتهم الأوروبية يقوم على المواطنة الصالحة.

٧. يُوصَى الخطيب بأن يرصد مشكلات المصلين الذين يتحدث إليهم، وهموم جمهرة المسلمين والمسلمات في نطاق حضوره، وعليه أن يسعى لرصد هذه المشكلات والهموم بما يمكِّنه من الوقوف على أبعادها وفهم

ملابساتها وطرح معالجات رشيدة وناجعة لها بما يتماشى وهدي الإسلام الحنيف، وله أن يتخذ مستشارين أكفاء لهذا الغرض يعينونه في تقدير الأمور.

٨. ينبغي على الإمام أن يولي عنايةً خاصة للشريحة الشابة، فيدرك تطلّعاتها ويبصر مشكلاتها ويتابع أحوالها كافة، بما يعزّز قابليته على التواصل معها وتقديم ما يفيدها في أمور دينها ودنياها، فيكون له دوره المرتجى منه في صلاح هذه الشريحة واستقامتها، وإعانتها على النجاح الحسن في شتى المجالات الإيجابية.

٩. للدعاء في الخطبة شأن عظيم، وقد نبّه المولى تبارك وتعالى إلى أنه قريب من عباده الذين يسألونه (وإذا سألَك عبادي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعانِ فلْيَستَجيبوا لِي ولْيُؤْمِنوا بي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدون) البقرة ١٨٦. ولذا فإنّ على الإمام أن يحرص على التضرّع إلى الله في دعائه من فوق المنبر؛ بصلاح الأحوال، وبالرحمة والمغفرة للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، وبطلب خيريْ الدنيا والآخرة، وأن يستحضر في دعائه أوضاع أمة الإسلام في العالم أجمع وما يداهمها من نوازل، وأن يدعو كذلك بالأمن والطمأنينة للبلد الذي يكتنفه والمجتمع الذي يعيش فيه أيضاً، وأن يتحاشى أن يشتمل دعاؤه على أيٍّ مما يسيء إلى الخطبة وسموِّ رسالتها، أو أي مما قد يُساءُ فَهمُه أو تأويلُه.

دراســـة حـــالـــة (٣):

خطاب مسلمي أوروبا في مواجهة حملات تشويه الإسلام

تتعدّد مرامي حمى التشويه و"الإسلاموفوبيا" المتصاعدة في أوروبا حالياً، وذلك بحسب الأطراف التي تنخرط في هذه الموجة/ الموجات أو تسعى للاستفادة منها.

ولا بدّ من إدراك أنّ هذه الموجات تسعى باستمرار للاغتراف من مستنقع الجهل والمخاوف، وتوظيف الصور النمطية والأحكام المسبقة السلبية المستقرة في بعض ثنايا الوعي الجمعي، واستعمالها على نحو متجدِّد ومُبتَكر أحياناً.

ولقد أصدر اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا مذكرة توجيهية بعنوان "مسلمو أوروبا في مواجهة حملات تشويه الإسلام"، وهي مذكرة تقدِّم تحليلاً للظاهرة وقراءة لسياقاتها، وهي تقدم إرشادات تتعلق بكيفية مواجهتها، ومضامين الخطاب المطلوب لهذا الغرض. ونستقي في ما يلي مقتطفات من هذه المذكرة بما يعين على دراسة هذه الحالة وما يتعلق منها بالخطاب أساساً.

مرامي حمى التشويه و"الإسلاموفوبيا" والمستفيدون منها:

بشيء من التحليل؛ يتضح أنّ هذه الحمى تحقق أغراضاً لعدد من الأطراف، ومن هؤلاء:

١. المعبِّرون أساساً عن قناعات سلبية متأصلة في أعماقهم تنظر إلى الإسلام نظرة متعصِّبة تفيض بالتحامل، بحيث يلجأ هؤلاء إلى إذكاء حمى التشويه و"الإسلاموفوبيا" انسجاماً مع توجّهاتهم تلك.

٢. العنصريون الذين يجدون في حمى العداء للإسلام وممارسة التشويه والتحريض بحق المسلمين "ملاذاً آمناً" لهم، طالما أنّ هذه "العنصرية الانتقائية" أقلّ كلفة وأكثر رواجاً من النهج العنصري التقليدي الذي يتراجع في خطاب كراهية "الأجانب" والذي يحجم مثلاً عن التعبير عن كراهية اليهود الذين استهدفهم التشويه والتعصّب طويلاً في عهود سالفة، وكذلك الغجر وعدد من الأقليات في بعض بلدان أوروبا.

٣. الساعون لإيجاد استقطابات حادة داخل المجتمع الواحد وشحن الأجواء طمعاً في تحقيق مكاسب سياسية أو انتخابية؛ تتحقّق لهم أساساً عبر حالة الخصام تلك.

٤. المغمورون الطامحون إلى الشهرة بأي ثمن واجتذاب الأضواء بغض النظر عن المسلك غير الأخلاقي لذلك، بل والمسارعة إلى تقمّص دور ضحية مناهضي "حرية التعبير" واستعطاف قطاعات من الرأي العام إن أمكن .

٥. الراغبون في تضييق الخناق على الحريات العامة والشخصية، وتقليص حقوق الإنسان وممارسة الإقصاء والتهميش المجتمعي.

٦. المنهمكون في إذكاء التعصب الديني للمسيحية في مجتمعات علمانية، وذلك بجعل الجدل المتعلق بالإسلام وإثارة المخاوف من المسلمين هو قضية الساعة؛ ما قد يؤدي إلى ردود أفعال من قبيل التمترس بـــ"الهوية المسيحية" وربما إعادة عقارب الساعة إلى الوراء وإعادة إنتاج تجارب تاريخية بائدة.

٧. العاملون بدأب على عزل المسلمين عن السياق المجتمعي الأوروبي، وتقويض مساعي المشاركة والاندماج الإيجابي التي يقوم بها المسلمون، بها وقطع الطريق على التواصل الإيجابي بين مكوِّنات المجتمع التعددي.

٨. الحريصون على اصطناع قطيعة بين أوروبا والعالم الإسلامي، وتوسيع الفجوات القائمة، وكذلك بين البلدان الأوروبية ومسلميها، وتوتير الأجواء وافتعال الأزمات البينية.

٩. المتطلعون إلى تمرير سياسات أو التغطية على أزمات أو غض الطرف عن ممارسات أيّاً كان نوعها، فهؤلاء جميعاً قد يجدون في حمى التشويه و"الإسلاموفوبيا" صرفاً للنظر عن ذلك كلّه، وهم يستعملون تلك الموجة لهذه الأغراض حتى بدون قناعات فعلية بما يروِّجون له من إساءات.

١٠. الطامعون في الترويج وجني الأرباح عبر الإقبال على مطبوعاتهم وأعمالهم المسيئة، إلى الدرجة التي تجعل نشر رسم مسيء للإسلام بشكل استفزازي؛ كافياً للخروج من أزمة تدهور المبيعات لمطبوعة دورية مثلاً.

وبشأن الكيفية التي ينبغي أن يواجه فيها مسلمو أوروبا تشويه الإسلام؛ تقدِّم المذكرة إرشادات على مسارات التحرك، منها:

أ) إرشادات تتعلق بحماية النسيج المجتمعي:

١. تعزيز نهج الحوار والتواصل: لا غنى عن الحوار والتواصل لاحتواء نزعات التحريض والتشويه، التي ترمي إلى عزل المسلمين ودينهم عن المشهد العام التعددي.

٢. قطع الطريق على محاولات الإقصاء: إنّ تمكين محاولات التحريض والتشويه تلك من قطع وشائج الصلة بين المسلمين وغير المسلمين، أو تغييب دور المسلمين الإيجابي والفاعل في مجتمعهم ودولتهم؛ هو خطأ جسيم ينبغي الحذر منه.

٣. العمل الجماعي لعزل من يحاولون عزل المسلمين: طالما أنّ هناك من يلجأ إلى التشويه من أجل دقّ الأسافين وإثارة الضغائن المتبادلة بين المسلمين ومجتمعاتهم الأوروبية، وكذلك بين أوروبا والعالم الإسلامي؛ فإنّ المسؤولية تُملي على كافة الأطراف المعنيّة أن تتنبّه لما يُحيكه الحالمون بصراع الثقافات، وأن تتداعى لعزل تلك الإساءات وتفويت الفرص على مشعلي الحرائق في فضائنا الإنساني المتنوِّع، بحيث تنتهي تلك المحاولات المسيئة إلى عزل أصحابها.

٤. الحذر من تعميم الأوزار: إنّ المسلمين، وبخاصة في القارة الأوروبية، مُطالَبون اليوم وأكثر من أي وقت مضى، بأن يعملوا على عزل مشعلي الحرائق بين أبناء المجتمع الواحد والنافخين في نار الأحقاد والمحرِّضين على الكراهية، وهذا ما يستدعي عدم تجريم المجتمع والبلد ككلّ لسلوك فئة فيه مهما اتسع تأثيرها (يسري ذلك على خطاب مسلمي أوروبا أساساً باعتبار حضورهم ضمن المشهد الداخلي)، كما يقتضي الأمر حثّ العقلاء واستنهاض الحكماء من غير المسلمين أيضاً، من المؤسسات والتجمعات وقوى المجتمع المدني والمسؤولين والأفراد؛ كي يساهم الجميع وبشكل مشترك في قطع الطريق على المتربِّصين بثقافة الوفاق والساعين إلى الخصام والشقاق.

ب) إرشادات تتعلق بالإطار العام لمواجهة التشويه:

١. تحاشي ارتباك حضور مسلمي أوروبا ودورهم الإيجابي جراء التشويه: فبعض مرامي حملات التشويه تذهب إلى حدّ الرغبة في إرباك حضور المسلمين وتعطيل دورهم الإيجابي في مجتمعاتهم الأوروبية، ولذا فإنّ حمى التشويه تقتضي التنبّه إلى هذا الجانب أيضاً، والحذر من انشغال المسلمين عن واجباتهم ومسؤولياتهم أو تعكير صفو حضورهم الاعتيادي في المجتمعات الأوروبية.

٢. الردّ على التشويه من جبهة مجتمعية عريضة: إنّ الردّ على حملات التشويه ضد الإسلام والمسلمين لا ينبغي أن يصدر عن "الأقلية" المسلمة وحدها، بل ينبغي بناء التحالفات وتشكيل جبهات عمل وتحريك أكبر حشد من القوى المجتمعية لكي تشارك المسلمين الردّ. ولا ريب في أنّ الاختلال في موازين القوى لهذا الطرف أو ذاك في هذا السجال له تأثيره البالغ على عواقب الأمور ومآلاتها.

٣. كسب قادة الرأي: إنّ حملات الإساءة والتشويه هي بمثابة "أزمات تواصلية" تستهدف الوجود المسلم الأوروبي والإسلام والثقافة الإسلامية بشكل عام، وهنا لا بدّ من إدراك موقع قادة الرأي، من مثقفين وفنانين وكتاب ومعلقين ورجال دين ومشاهير ونجوم الرياضة وغيرهم، وتوظيف مكانتهم وتأثيرهم في الخانة الإيجابية بما يقوِّض حملات الإساءة والتشويه تلك.

٤. وضع المسؤولين أمام مسؤولياتهم: يتوجب وضع المسؤولين وصانعي القرار في شتى المستويات أمام مسؤولياتهم الأدبية وأدوارهم التي لا ينبغي أن يتنصّلوا منها في مكافحة حمى التشويه و"الإسلاموفوبيا"، ويجدر اعتبار ذلك أحد الأدوار الأساسية لمشاركة المسلمين المجتمعية. ويلحق بذلك التحرّك القانوني بشتى صوره وحثّ المستوى القانوني على النهوض بمسؤولياته في هذا الجانب.

٥. التنبّه للتشويه خلال المواسم الانتخابية: إنّ إدراج التشويه في المواسم الانتخابية يستدعي التحسّب على نحو خاص لردود الأفعال، بحيث يتم تنسيق تحرّكات الرامية لمعالجة الإساءات على نحو لا يخدم المرامي المسبقة للقائمين بذلك التحريض؛ بل أن يعود قدر الإمكان بتأثيرات معاكسة لما يأملونه.

٦. أخطاء المحرِّضين ودورها التنبيهي: في غمار حملات التحريض التي يمارسونها؛ قد يرتكب أولئك المحرِّضون أخطاء تكتيكية علاوة على خطيئة التشويه التي يقترفونها. إنّ التقاط ذلك واغتنامه له فعالية خاصة لمن يريد استثمار أخطاء المحرِّضين لإحباط حملاتهم وتفكيك مساعيهم.

٧. مأسسة الردود: الردّ على التشويه والتصدي لحمّى "الإسلاموفوبيا" المتعاظمة لا يمكن تحققهما بالاكتفاء بمنسوب الأداءات المتفرقة والجهود المبعثرة الصادرة عن قيادات عامة أو مؤسسات غير متخصصة. بل ينبغي إضافة إلى ذلك نهوض أطر مؤسسية ومجموعات عمل متخصصة في معالجة هذه الظواهر المتفاقمة.

٨. توزيع الأدوار: إنّ الطابع المعقد والمتشابك لظاهرة التشويه و"الإسلاموفوبيا" تفرض توزيع الأدوار في التعامل معها من مواقع شتى تغطي ألوان الطيف المجتمعي قدر الممكن وتتنوّع فيها الأداءات وألوان الخطاب. فالتركيز على أداءات بعينها، مثل إصدار البيانات وحسب، أو لون بعينه من الخطاب، وصدور ذلك عن جهات محدودة الحضور؛ مما لا يحقق الغرض ولا يعكس الجدية في الاستجابة للتحدي القائم.

٩. التعويل على "الشجاعة المدنية" في إحباط تمرير الرسائل المسيئة في ميدانها: إنّ الشجاعة المدنية (أو الأدبية) يمكنها أن تحبط تمدّد حمى التشويه، عبر ما يقوم به الأفراد والمؤسسات من صدّ تلقائي مباشر لمحاولات الإساءة تلك حتى في مهدها أو نطاقها الأقرب.

١٠. استنفاذ التحرّكات القانونية المتاحة دون الاكتفاء بها: إنّ حمى الإساءة والتشويه تفرض معالجات متعدِّدة ومتشعبة، تستدعي أحياناً تحركات قانونية يخضع تقديرها لكل حالة بعينها. ولكن ينبغي في هذا الجانب عدم الاستئناس بالتعويل الحصري على المكاسب القانونية لأنها لا تنزع فتيل التشويه و"الإسلاموفوبيا" بالكامل؛ بل قد تصاحبها ردود أفعال أكثر سلبية؛ من قبيل عدم نجاح التحركات القانونية بما يعنيه ذلك من عواقب على تشجيع المسيئين والمحرِّضين، أو من قبيل تصوير المرافعات القضائية باعتبارها "محاكمة لحرية التعبير"، والسعي لاستدرار التعاطف مع المتورِّطين في الإساءات لأنهم يخضعون للمحاكمة أو حتى يُضطرون لقضاء عقوبات جزائية بسبب "آرائهم". وفي كل الأحوال؛ فإنّ الاكتفاء بالتحرّك القانوني هو قصور في مواجهة حمى التشويه و"الإسلاموفوبيا"، إذ لا بدّ من استنفاذ أدوات الفعل المجتمعي ووسائله، وتطوير خيارات متجدِّدة في التعامل مع هذه الظاهرة المتفاقمة.

١١. تنسيق التحركات: مع تصاعد موجات الإساءة والتشويه تكون الأطر الجامعة والمؤسسات الكبرى المعبِّرة عن المسلمين في أوروبا، وكذلك خارجها؛ مطالبة بأن تتداعى إلى التوافق على السبل الأنجع للتعاطي الواعي مع تلك الظاهرة، والنظر في خيارات التصدي الناجع لنزعات الاستعداء والتحريض، وأن تضع تصوّرات مشتركة ترقى لأهمية هذه التطوّرات المقلقة ولكيفية قطع الطريق عليها واحتوائها بشكل حكيم. كما يلحق بذلك التواصل مع كافة الأطراف المجتمعية والسياسية (من غير المسلمين) في الفضاءات الأوروبية والدولية في الاتجاه ذاته، مع الحذر من أن يتصرّف المسلمون بمعزل عن نسيجهم المجتمعي الأوروبي.

١٢. التعاطي الحسّاس مع العلاقات بين الأمم والدوائر الحضارية: الحذر من أن يظهر مسلمو أوروبا على أنهم يحرِّضون ضد بلدانهم ومجتمعاتهم الأوروبية في العالم الإسلامي.

جـــ) إرشادات تتعلق بالملامح الأساسية لمضامين الردّ:

١. ينبغي الحذر من مسعى الاستدراج الذي تعمد إليه جمهرة المحرِّضين ضد الإسلام والمسيئين للمسلمين والثقافة الإسلامية؛ بتحويل الجدل من أزمة بشأن خطاب الكراهية والتحريض إلى نقاش بشأن حرية التعبير و"القيم الأوروبية". وهذا يقتضي من جانب عدم تركيز المرافعات على مسألة حرية التعبير، ومن جانب آخر على التذكير بأنّ التذرّع بحرية التعبير يبقى واهياً أمام محاولات الإساءة والتحريض، لأنّ الحرية تقتضي المسؤولية، وهذه المسؤولية لا تتجزّأ. كما يتوجّب التحذير من أن يتحوّل التذرّع بحرية التعبير إلى وصفة لإثارة الأحقاد والكراهية وملجأ يغتنمه العنصريون وغير المتسامحين. وإنّ ذلك مما يتعيّن كذلك تأكيده في مواثيق الشرف التي تتنّباها قطاعات الصحافة والإعلام والفنون، وتفعيله في التزاماتها الأدبية وممارساتها العملية. وفي كل الأحوال؛ فإنّ ردود الأفعال المسلمة ينبغي أن تتحاشى الظهور في خانة من يحرص على تقليص هوامش حرية التعبير أو الانقضاض عليها. كما ينبغي التنبيه إلى أنّه من غير اللائق توفير المبرِّرات لحمْلات التحريض ضد الإسلام وخطاب التشويه، وأنّ "قيم أوروبا" التي استماتت قروناً لترسيخها لا يُنتَظَر منها أن تنسجم مع نزعات التعصب والكراهية تلك.

٢. التعريف بالحقائق الناصعة ردّاً على التشويه: إنّ مسلسل الإساءات المتكرِّرة للرسول الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، يبرز أهمية إيلاء عناية فائقة، للتعريف بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وبالرسالة التي جاء بها من عند الله جلّ وعلا. ولا يخفى ما عبّرت عنه المجتمعات الأوروبية من رغبة جامحة في الفهم والتعرّف

على الإسلام والثقافة الإسلامية إثر أزمات السنوات الماضية، وهو ما يقتضي توفير أعمال مقروءة وبرامج إعلامية وثقافية تتجاوب مع ذلك بشكل رشيد ومثمر. إنّ تطوير آليات التعريف بالإسلام واغتنام الشغف المتعاظم في التعرف على هذا الدين والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو أحد الاستجابات الأساسية الهامة لتحدي التشويه و"الإسلاموفوبيا".

٣. التعويل على التأثير الارتدادي: كثيراً ما تُستخدم أوصاف ومعايير مثيرة للجدل بحق بعض ثنايا الوجود المسلم في أوروبا، من قبيل "خطباء الكراهية" و"مثيري الأحقاد" و"المحرضين على الكراهية". إنّ هذه الأوصاف لا ينبغي أن تغيب في مجالات الردّ على "خطاب الكراهية" و"إثارة الأحقاد" و"التحريض على الكراهية" التي يعمد إليها المنهمكون في حمى التشويه و"الإسلاموفوبيا".

٤. الحذر من ردود الأفعال المُسيئة: إنّ المسؤولية إزاء حملات الإساءة والتشويه تقتضي الحذر من الانجرار إلى ردود أفعال تُذكي تلك الإساءات وتفاقمها، وتحقِّق للمحرِّضين ضد الإسلام بعض ما يَصبُون إليه من الخصام والتباعد بين المسلمين وغير المسلمين، خاصة مع نزعة الحرص على إظهار الثقافة الإسلامية لصيقةً بإرادة العنف والنزوع إلى الغضب الجامح. إنّ محاولة استلاب وعي الجمهور في المجتمعات الأوروبية لصالح التشويه والتحامل؛ تقتضي تبصرة العقول وكسب القلوب؛ لا شحن النفوس والإلقاء بها إلى مرتع التنابذ والخصام.

٥. تفكيك مرتكزات الادعاءات والمزاعم التي يستند إليها التشويه، والردّ عليها بما يتيحه المجال، ولكن دون حصر الردود في هذا الجانب بل ينبغي تفعيل شتى خيارات التعاطي المتاحة. فربما لا يكون من المناسب الردّ على الإساءات بإثارة نقاش عام في مسألة بعينها طالما كانت الأجواء مشحونة بما لا يساعد على التداول الهادئ والعلمي، وطالما أنّ العامل الابتدائي في الأمر هو التشويه والتحامل الذي قد يطغى على أجواء النقاش والتداول، خاصة في ظل الافتقار إلى المعرفة الحقة وشيوع الأحكام المسبقة السلبية والصور النمطية في شرائح واسعة من الجمهور. ويمكن توزيع الأدوار من الناحية الزمنية بحيث يتم السعي للاحتواء العاجل لموجة التشويه القائمة، قبل أن تجري معالجة مرتكزات الادعاءات التي استندت إليها بوسائل متوسطة المدى وطويلة المدى.

٦. تفكيك خطاب التشويه: يعتمد خطاب التشويه على مرتكزات وادعاءات، ويوظف عناصر نفسية، ويوغل في الإثارة، ويورد حقائق مجتزأة ليضرب الحقيقة الكلية بالحقيقة الجزئية، وغير ذلك من الوسائل في المضمامين والقوالب والشكل العام والسياقات المصاحبة. إنّ قسطاً وافراً من الاهتمام ينبغي أن ينصبّ على التوجّه لتفكيك ذلك الخطاب وإظهار تهافته وحقيقة مرتكزاته الواهية وتناقضه أيضاً.

د) إرشادات تتعلق بالجهود الوقائية والعلاجية:

١. استباق الإساءات المتوقّعة بتحرّكات وقائية أو بتحضيرات كافية: ففي بعض الحالات يكون بالوسع توقّع الإساءات وحملات التشويه والتحريض قبل وقوعها، وهذا يتيح هامشاً أوسع للتحضير والمناورة والاستباق؛ يمكن أن تفيد منه المساعي الرامية لإحباط تلك الحملات والحيلولة دون تمدّدها.

٢. مكافحة التشويه و"الإسلاموفوبيا" عملية متواصلة: ينبغي الحذر من مكافحة التشويه و"الإسلاموفوبيا" بطريقة ردود الأفعال الآنية وحسب؛ بل يتوجب إدراك أنّ هذه ظاهرة متواصلة وكامنة تعبِّر عن ذاتها بشكل صارخ

من جولة إلى أخرى. إنّ مواجهة ذلك لا ينبغي أن يكون بطريقة الأداء الموسمي المتقطع، بل اعتبارها عملية متواصلة وتسير بخطى منهجية.

٣. الحذر من تحوّل التشويه إلى ممارسة اعتيادية مقبولة: إنّ تعاقب حملات التشويه و"الإسلاموفوبيا" وتلاحقها واتساع نطاقها وتنوّع تجلّياتها؛ يجعلها أقدر على تثبيت أقدامها في مواقع مجتمعية متقدمة بحيث يتسع تأثيرها وتتحوّل إلى ممارسة اعتيادية مقبولة يصعب احتواؤها أو التخفيف من عواقبها الوخيمة.

٤. رأب الصدع بين أوروبا والعالم الإسلامي دون الانفراد باحتواء عواقب الإساءة: مسلمو أوروبا حريصون على عدم اتساع الشقة بين أوروبا والعالم الإسلامي، وهم سيبذلون جهودهم في هذا الاتجاه، ولكن لا يُنتظر منهم أن يتطوّعوا في كل جولة تلقائياً بتهدئة خواطر العالم الإسلامي دون أن تكون هذه مهمة مشتركة من كافة الأطراف المعنية، فعلى الجميع الوقوف عند مسؤولياته.

٥. تجنّب تبلوُر عقدة المظلومية والانزواء لدى المسلمين: إنّ حمّى التشويه والاستهداف الضاري للإسلام؛ تتزامن مع حالات الاحتلال والحروب والأزمات التي يعاني منها العالم الإسلامي، وكذلك مع وقائع الانتهاكات والتعديات على الحقوق الفردية والجماعية التي تسجل بحق الوجود المسلم في بعض مناطق أوروبا. إنّ هذه الظواهر المتضافرة يمكنها أن تنتج، أو تذكي؛ حالة من المظلومية والاعتقاد بالوقوع ضحية الاضطهاد في أوساط المسلمين، بحيث تدفع إلى ردود أفعال متطرِّفة في طابعها وتحرِّض على نزعة الانزواء عن المشاركة المجتمعية والانكفاء على الذات والتقوقع والإحجام عن التواصل مع الآخرين وخبو إرادة المشاركة. إنّ مسعى التصدي لحملات الإساءة والتشويه تلك؛ ينبغي أن يولي هذه المضاعفات السلبية عنايته أيضاً ويعمل على احتوائها، ومن ذلك حثّ الجمهور المسلم على التفاعل الإيجابي والتعبير عن ذاته بثقة وانفتاح وإيجابية، وتوليد خيارات متجدِّدة من الفعل المثمر والمشاركة الحميدة.

بعض مضامين الخطاب في مواجهة حمى التشويه:

١. إنّ هذا التشويه وتلك الإساءات والمزاعم الواهية عندما تحاول النيل من الدين الإسلامي إنما تصدر عن جهل وافتقار للمعرفة الحقة الصحيحة، وهي نتاج معلومات مشوّهة وانطباعات مسبقة وأحكام جاهزة حافلة بالتعصّب والتحامل تجافي الحقيقة وتتجاهلها.

٢. إنّ التطاول على الدين الإسلامي ومقدّساته، والتعدّي على المقام النبوي الشريف، مما يشي بروح عنصرية ذميمة، وينطوي على انتهاك سافر للقيم والمبادئ والأخلاقيات المرعية، علاوة على أنها محاولة تقويض خطيرة لفضاءات التفاهم الإنساني المشتركة. إنّ ذلك يقتضي بكل تأكيد الإدانة الواضحة لتلك الإساءات وشجبها بأقصى العبارات والتنبّه لمراميها وعزل القائمين عليها.

٣. الدعوة إلى الحوار والتفاهم وإعلاء هذه القيمة وأهميتها بالنسبة للسلم المجتمعي، مع إبداء الحرص على التواصل لاحتواء نزعات التحريض والتشويه، التي ترمي إلى عزل المسلمين ودينهم عن المشهد العام التعددي.

٤. استدعاء عبر التاريخ وعظاته والتحذير من تكرار التجارب الخاطئة والمسيئة بكل ما تفضي إليه من عواقب وخيمة. والتذكير بأنّ ما يجري هو إعادة إنتاج الصور الكريهة المنقولة من عصور الظلام ومن الخطاب

العنصري البائد في أوروبا. كما أنّ النزعات المتطرِّفة من التحامل والإساءة بحق الإسلام، التي أطلّت من نافذة الخطاب السياسي المشحون أو رسوم الكراهية، سبق وأن عبّرت عن نفسها في التاريخ الأوروبي الحديث بصور شتى في مجال التعبئة السياسية وحقل الإعلام والفنون ورسوم الكاريكاتير. وقد اكتشفت أوروبا خطورة ذلك المنحى العنصري ومآلاته، وما أفضت إليه ثقافة الكراهية والأحقاد تلك من عواقب وخيمة وانتهاكات خطيرة وفظائع، مثل ما جرى في النصف الأول من القرن العشرين. ولذا فإنّ دروس التاريخ القريب وعِظاتِه تقتضي عدم التساهل مع أعمال التحريض والكراهية التي تستهدف المسلمين هذه المرّة، والعمل على تطويقها بمزيد من التماسك المجتمعي وتجسير الفجوات، مع تجريم تلك التجاوزات والإساءات.

٥. التحذير من أنّ حمى التشويه و"الإسلاموفوبيا"، بشتى تجلياتها ومستجداتها؛ إنما تمثل محاولة للإساءة البليغة إلى البلد الذي يشهد الحالة المعنية وقيمه، مع الإشارة إلى ما شهده هذا البلد من تجارب إيجابية مفترضة في التعايش والوفاق، بما يفرض على كافة الأطراف أن تعمل على تعزيز تجربة الوفاق والتواصل الإيجابي هذه، وعزل نزعات التحريض والكراهية التي تشي بها الرسوم المسيئة.

٦. تأكيد حاجة المجتمعات لتعزيز إرادة الحوار وروح الوفاق بين مكوِّناتها، بما يشمل المسلمين أيضاً، وضمن الفضاء العالمي؛ بما في ذلك العلاقة بين أوروبا والعالم الإسلامي.

٧. ربط حمى التشويه و"الإسلاموفوبيا" بالانتهاكات والتعديات على السلم المجتمعي، والاستدلال بأية معطيات موثقة متاحة عن شواهد مقلقة في هذا الجانب، من قبيل الاعتداءات البدنية والتهجّمات اللفظية وممارسات التفرقة والتمييز التي تستهدف المسلمين.

٨. حثّ العقلاء واستنهاض الحكماء في المجتمع الواحد (من غير المسلمين أيضاً)، من المؤسسات والتجمّعات ورجال الدين وقوى المجتمع المدني والمسؤولين والأفراد؛ كي يساهم الجميع وبشكل مشترك في قطع الطريق على المتربصين بثقافة الوفاق والساعين إلى الخصام والشقاق، وأن تتعزّز الجهود الرامية لتشجيع التضامن المجتمعي المتبادل والتماسك في وجه التعصب والإساءات.

٩. التعبير عن الحرص على الصالح العام للبلد والمجتمع مهما صدرت تلك الإساءات، ونبذ أية ردود أفعال تذكي تلك الإساءات وتفاقمها، وتشحن النفوس وتظهر الثقافة الإسلامية جوراً وكأنها لصيقة بإرادة العنف وتنزع إلى الغضب الجامح.

١٠. التذكير بالمسؤولية الذاتية للإعلاميين ووسائل الإعلام، وكذلك للفنانين والقطاعات الفنية، في الحذر من أن تتسلّل مساعي الإساءة وإثارة الأحقاد ونشر الكراهية عبر أعمال إعلامية أو فنية، مع الإعراب عن التقدير للإبداع والحرية التي تكتسب قيمتها بالمسؤولية.

١١. اعتبار أنّ التذرّع بحرية التعبير يبقى واهياً أمام محاولات الإساءة والتحريض، لأنّ الحرية تقتضي المسؤولية، وهذه المسؤولية لا تتجزّأ. ويتوجّب التحذير من أن يتحوّل التذرّع بحرية التعبير إلى وصفة لإثارة الأحقاد والكراهية وملجأ يغتنمه العنصريون وغير المتسامحين.

١٢. التنبيه إلى أنّه من غير اللائق توفير المبرِّرات لحمْلات التحريض ضد الإسلام وخطاب التشويه، وأنّ "قيم أوروبا" التي استماتت قروناً لترسيخها لا يُتَصوَّر أنها تنسجم مع نزعات التعصب والكراهية تلك.

١٣. الدعوة إلى تجريم الإساءات البليغة وحمى التشويه التي تستهدف الإسلام ومقدّساته، مع التذكير بما تحقّق في هذا الشأن من مكتسبات والحثّ على تطويرها والبناء عليها، مع الإشارة إلى الأدوار والمسؤوليات الملقاة على عاتق المستويات الرسمية والجهات المختصة في هذه الشؤون.

١٤. إبداء الاستعداد للنقاش العلمي بشأن بعض المسائل المُثارَة، بالشكل المبنيِّ على أسس صحيحة، وإظهار انفتاح الإسلام على التساؤلات النقدية، مع التشديد على نبذ التشويه والتحريض والكراهية وما يشحن النفوس ويوغل في توظيف القوالب النمطية المستوحاة من عصور الظلام.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين،،